الإسلام ودوره في بناء حضارة الأندلس في القرن الرابع الهجري- العاشر الميلادي

د- الهادي الشتيوى المقطوف – كلية التربية الزاوية – جامعة الزاوية

المقدمة :

دخل الإسلام بلاد الأندلس في رحلة دينية كبرى، كانت دعوة سلام هدفها نشر هذا الدين، وشرح هذه العقيدة لتكون واضحة جلية أمام كل الناس؛ فمن شاء منهم دخل في دين الله وله حقوق المسلمين كافة، ومن شاء منهم البقاء على دينه بقي عليه، كما يؤكد القرآن في أكثر من آية يقول تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة: 256)، ويقول تعالى: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) (الكهف: 29). لذا دخلت الحضارة الإسلامية بلاد الأندلس، وعاشت هناك ثمانية قرون، استطاعت خلالها أن تنشر نور العلم والدين والهداية في كلّ أوروبا، وصارت الأندلس بكاملها مدرسةً للعلم والفكر والثقافة، نهل منها الأوروبيون، وتشكلت مدارس لها خصائصها في الفنون والعلوم والآداب ومختلف ألوان الحضارة بوجهيها المادي والمعنوي، وكانت ـ بلا جدال ـ أساس النهضة الأوروبية الحديثة. منذ بدايات الفتح العربي للأندلس، اتسمت معاملة المسلمين لغيرهم من أهل البلاد المفتوحة بالتسامح التام. نلمس سياسة التسامح لهذه الأقليات في احترام الحكّام المسلمين للنصارى وغيرهم في المعاملات والمجاملات؛ فلم يتدخّل الحكّام في شيء من عقائدهم، وتُرك لهم يعيشون عيشتهم. ولقد تبنّى غير المسلمين ـ نتيجة لهذه السياسة ـ العادات الإسلامية واللغة العربية، ونبغ منهم أدباء وعلماء، ومنهم من وصل إلى أعلى مناصب الدولة.

وقد قسمت هدا البحث الى اربعة محاور النظام الطبقي في الأندلس وما يحتويه من تعدد لطبقات المجتمع الأندلسي وفي المحور الثاني تم طرح قضية بقاء الكنائس والحريات في ممارسة الشعائر الدينية ، وفي المحور الثالث تم التركيز على تقاضى النصارى بقوانينهم انفسهم ، ثم تم استعراض العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع الأندلسي ، وأخيرا الهوامش .

وقد استخدمت المنهج التاريخي التحليلي في دراسة هدا الموضوع مستفيدا من آراء الباحثين في هدا المجال بما يحقق اهداف وغايات البحث.

محاور البحث :

المحور الاول ـ الترتيب الاجتماعي والطبقي لسكان الأندلس :

تميز النصف الأول من القرن الرابع الهجري بتنوع الحياة الاجتماعية في الأندلس واحتوائها على خليط اجتماعي متفاوت , فسكان الأندلس كانوا ينقسمون

من حيث الجنس والدين إلى عرب ومعاهدين وصقالبة ويهود وبربر ومرتزقة , أما من الناحية الاجتماعية فإنهم ينقسمون إلى ثلاث طبقات " فئات " اجتماعية هي :

1ـ الطبقة الخاصة :

إن معظم الذين يشكلون هذه الطبقة الاجتماعية هم الذين ينحدرون من سلالة العرب الفاتحين وسلالة الأمير عبد الرحمن الداخل وأسرته وهم يعرفون بأنهم آل البيت أو بنو هاشم وهم – أيضا - أحفاد الأمير الأموي وسلالته التي كان يرعاها نقيب وينوب عنهم عند الأمير ويقدم لهم الخدمات المختلفة بما في ذلك الأرزاق الهلالية السنوية ومنهم كان الأمير أو الخليفة يختار منهم أرباب الدولة وخاصتها وكبار رجال الخدمة ويعهد إليهم بأخطر المناصب التي تسير دفة شؤون الدولة ومن هؤلاء نشأت كبرى البيوتات الأندلسية التي ذاعت شهرتها كأسرة بني أبي عبدة وبني شهيد وبني عبد الرؤوف وبني فطيس وحجور وغيرها من الأسر الأخرى , وكان يدور في فلك هذه الطبقة الخاصة مجموعة من الأتباع والأعيان الذين ينتسبون إليها وكانت فئة الموالي - عربا كانوا أم صقالبة - تنتسب إلى هذه الطبقة ونشأت عنهم مجموعة من البيوتات القرطبي الأخرى كأسرة بدر بن أحمد وبني أبي عامر وبني جعفر والمصحفي وأسرة ابن شهيد التي بلغت مبلغا كبيرا من الثراء ، ويدور في فلك هذه الطبقة أيضا مجموعة الصقالبة الذين لعبوا دورا مهما في عصر الخلافة واستطاعوا الوصول إلى مناصب قيادية في المجتمع الأندلسي . فقد اشتد عودهم في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر اعتمد عليهم فأصبحوا في عداد الموالي حتى أصبح يطلق عليهم لقب الخلفاء لتمييزهم عن غيرهم من الموالي ومن هؤلاء القائد غالب والحاجب جعفر اللذان انتسبا إلى الخليفة نفسه حتى تسموا جميعا باسم غالب بن عبد الرحمن وجعفر بن عبد الرحمن وطرفه بن عبد الرحمن , وذلك توكيدا على ولائهم للخليفة عبد الرحمن الناصر الذي اعتقهم.

أما عن الغلمان فإنهم كانوا طبقة ممتازة في المجتمع الأندلسي وتسموا بالقيان أو الفتيان الكبار وأسندت إليهم خطط " مناصب " خطيرة كرئاسة ديوان الجيش أو الخدمة السلطانية علاوة على ترسيم عدد آخر منهم في عديد المناصب العامة كخطة صاحب الخيل ، وصاحب البريد ، وصاحب الطراز وليس أدل على ذلك ما خصصته كتب التراجم حول أولئك التجار (1) . ولقد أوجدت الحركة التجارية الصناعية مجموعات كبرى من أصحاب الحرف والصناعات وعرفاء الحرف المتخلفة المعدنية وكذلك الصناعات الجلدية والمنسوجات والورق التي كانت منتشرة في الأندلس (2) وتتكون هذه الطبقة - أيضا - من الموظفين الذين يشتغلون في وظائف إدارية صغيرة وقليلة الأهمية , كذلك الحال بالنسبة لأولئك الملاكين الصغار أصحاب المشاريع المختلفة يضاف إليهم أيضا عدد من الشيوخ والفقهاء الذين استطاعوا أن يكونوا من الطبقة الاجتماعية وفي غالب الأحيان فقد تمنع أصحاب هذه الطبقة ببعض المزايا ذاتها ذلك المستوى المعيشي الجيد فهم لا

يتمنعون بترف الطبقة الخاصة والحاكمة ولا يقارنوا بطبقة العامة من حيث مستوى المعيشة داخل مدينة قرطبة والعديد من المرافق الخدمية التي ترأسها الفتيان الصقالبة الذين كثرت أعدادهم بصورة كبيرة وأصبح العديد منهم يضاهون العرب في الثراء وامتلاك الأراضي والضياع علاوة على امتلاكهم للجواري والغلمان أما عن تشربهم للثقافة العربية الأندلسية , فلقد نبغوا في الأدب والشعر والبلاغة حتى أخذوا يفاخرون بأعمالهم كما كان العرب يفاخرون بأنسابهم (3) علاوة على ارتيادهم لحركة التأليف في مدينة قرطبة والى جانب العلمان ظهرت فئة الخصيان الذين غالبا ما يؤتى بهم أسرى حروب وقد أضطلع بهذه المهمة اليهود والذين كانوا يشترونهم ثم ينقلونهم إلى بلاد الأندلس (4) وكانوا يسمون دائما بأسماء رمزية مثل : عين وبشر ، ونجاة ، أو اسم كوكب مثل بدر، أو هاشم ،أو جوهرة مثل : منبر أو ياقوت أو اسم شاعر مثل طرفة أو زهير , أما عن الإماء في الأندلس وقرطبة من الجواري البيض والسود اللاتي ازدحمت بهن بيوتات مدينة قرطبة ولقد تحرر العديد منهن وأصبحن أمهات أولاد وجميعهن كن في كل الأحوال ينسبن إلى الطبقة الخاصة .

2- الطبقة الوسطى :

بعد أن ازداد ازدحام السكان بمدينة قرطبة من النصف الأول من القرن الرابع الهجري - والعاشر الميلادي - وما صاحبه من ازدهار اقتصادي وتجاري مكثف يمكننا أن نميز الخلط السكاني الذي ينتمي إلى هذه الطبقة وأولهم التجار الذين غالبا ما كانوا يطلبون من الدولة أن تقوم بتوفير الجو المناسب المتمثل في حفظ النظام الداخلي والخارجي وإيجاد ضوابط عادلة التي تكفل لهم حفظ أموالهم ونفوسهم بما حدا بالتجارة إلى العمل المتواصل حتى حقق لهم ذلك أرباحا طائلة من الأموال تماما كما فعل التجار الغرباء الوافدون من مدينة قرطبة وليس أدل من ذلك ما خصصته كتب التراجم حول أولئك التجار الذين شكلوا طبقة وسطي في المجتمع الأندلسي وقد عرفوا في المصادر القديمة باسم وجوه أهل الأرباض (5) والأسواق أو بياض أهل السوق ولعل في وصف الجاحظ لهم ما بين لنا وضعيتهم الاجتماعية في مدينة قرطبة إذ قال عنهم إنهم .." أورع الناس أبدا , أهناهم تعيُّشا , وأمنهم سربا ... يرغب إليهم أهل الحاجات, وينزع إليهم أهل البياعات ..." (6) هذا إلى جانب احتواء هذه الطبقة الاجتماعية على الحرف والصناعات وعرفاء الحرف كالصناعات المعدنية والغذائية والحرفية والمنسوجات والورق التي كانت منتشرة في الأندلس قاطبة . إضافة الى العديد من الموظفين من أهل القلم الذين شغلوا مناصب مختلفة في بعض دواليب الحكومة المركزية بقرطبة وعن وضعيتهم الاجتماعية داخل المجتمع القرطبي فقد كشفها ابن الخطيب بقوله :" إنهم لا يتشوقون إلى المزيد ولا يحذرون من النقصان, لذلك فهم لا يشكلون ثقلا في الحياة السياسية فكان قطاعهم هادن ساكن وإلى فئة العافية راكن (7).

3- الطبقة العامة :

وهذه الطبقة الاجتماعية هي قاعدة الهرم الاجتماعي في مدينة قرطبة وهم يشكلون السواد الأعظم من أفراد الشعب الأندلسي . والعامة هم أولئك الذين يقومون بالأعمال المختلفة التي تعجز عن عملها طبقة الخاصة و الطبقة الوسطي , ومعلوم أن أفراد هذه الطبقة كانوا من الكثرة بمكان في مدينة قرطبة فهم خلق لا يحصيهم إلا خالقهم (8) وفى كل الأحوال فأن أفراد هذه الطبقة تتكون من :-

أولاً ـ المنتجون : ويمثل هؤلاء أهل الحرف والصناعات المختلفة . وقد عاش هؤلاء في ظروف حسنة إذا ما قورنوا ببقية شرائح المجتمع الأندلسي , فهم يقومون بأعمال عديدة داخل المدينة وخارجها ففي الأرياف يقتصر نشاطهم على دراسة البساتين والمستغلات وقد يدخل المنتجون في علاقات مع التجار والجلاب ولعل ما أورده المقرئ بالقول : وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية ... "(9) مما يكفي للدلالة على كبر وكثافة هذا القطاع , بل أن السقطي أكد على وجودهم ومساهمتهم في الدفع بحركة الأسواق والتجارة , ولم يتردد عن القول .." حدثني رجل من الصناع لم أزل أذكره بخير ..."(10) . أما عن نظرة المجتمعات العربية – الإسلامية في العصر الوسيط فقد تأرجحت نظرتها إلى الحرف والصناعات بين التقدير والاحتقار .

فبينما يرى المقرئ في اتخاذ الصنائع تميزاً لصاحبها عن غيره (11). يرى ابن خلدون ويميز بين الصناعات الشريفة والضرورية , وأخرى تابعة وممتهنة وذليلة (12) .في حين أن من المفكرين من غالى في تبجيلها و إبراز أهميتها , والدور الكبير لممارسيها . وبالرغم من ذلك فإن معظم هؤلاء عملوا على شتم وتقليل أهمية هذه الفئة الاجتماعية , فهم حسب البعض يرى إخوان الصفا بأنهم " أوباش أسواق , وحمقى ما لهم من خلاق " (13) في حين أن المحتسب ابن عبدون يصفهم " بالخسيسين والعتاة من طروب الصناع والعمال في حين أن الغساني لم يتورع على اعتبار الصناعات مهناً " يتداولها السقطة والرعاع وأرادل القوم " (14) أما عن بعض المؤرخين كأمثال ليفي بروفنسال فقد ردد نفس أقوال المؤرخين السابقين, ويذكر أحد الدارسين بأن " الصناعة وأربابها كانت موضع عطف وتقدير عدد من الكتاب والمفكرين المسلمين " (15)

اما عن نظرة المستشرقين فيقول أحدهم : " إن البحث في هذا الموضوع لم يتم ولا يسعنا أن نقول فيه شيئا يذكر " (16) .

ثانياً- التجار والباعة : يختلف التجار المعروفون بممارسة تجارتهم الواسعة عبر المدن البعيدة والبلاد المجاورة عن التجار الصغار المترددين في أفق واحد ما بين أمصاره وودیانه فالتجار الصغار يقومون ببيع ما يعرضونه في الأسواق ليس بهدف الربح , وإنما لغرض التعيش فقط واكتساب قوت يومهم وتوفير أهم الحاجيات الضرورية لهم ولأفراد أسرهم .

أما الباعة فهم الذين يقومون ببيع المواد الاستهلاكية الضرورية للناس وغالباً ما تنعتهم المصادر وتصفهم بأنهم : سوقه , ورعاع ,وأوباش الأسواق (17).

ثالثاً- المستخدمون والأجراء : وهم يشكلون نسبة كبيرة في حاضرة خلافة قرطبة , ولقد تحملوا عبء النهوض بقطاع البناء والتجهيز فلقد استخدموا بأعداد كبيرة عند بناء مدينة الزهراء , وقد تطلب بناؤها في كل يوم من حداق البناة ثلاثمائة بناء , وعدد حداق النجارين مائتا نجار, وعدد الأجراء في كل يوم خمسمائة أجير تتمتهم ألف عامل (18) وقد عمل هؤلاء الأجراء والمستخدمون في مد وصيانة شبكة أنابيب الرصاص للمياه الصالحة للشرب(19) والتحقت أعداد كبيرة منهم من أجل القيام بالأعمال الأخرى كأعمال التنظيف لشوارع قرطبة وهم معرفون باسم الكنافين وكذلك الحال بالنسبة للأجراء الآخرين كالحمالين , والدرابين , والنواتيه , والعسس(20) .

رابعاً - الخدم والعبيد : وقد زخرت بهم حاضرة الخلافة قرطبة وأصبحوا من الكثرة بمكان , وما أسواق بيع النخاسة التي كثرت فيها إلا دليل على ذلك , وقد بلغ من تملك الناس لهم إلى أن أحدهم كان يملك منهم مائتى نسمة من رقيق الصقلب منتقاة (21) , وكان شأن هؤلاء في المجتمع القرطبي لا يكاد يذكر بل على العكس من ذلك تماماً , فقد أصبحوا محط سخرية من قبل باقي فئات وشرائح العامة حتى قيل عنهم : " من خالط الخدم ندم(22) " .

خامساً- سقط العوام : ويمثل هؤلاء شريحة مهمة من فئة العامة داخل حاضرة الخلافة في قرطبة , وتتألف من مجموعة كبيرة من اللصوص , المجرمين , الشحاذين والمتسكعين في أزقة مدينة قرطبة وساحاتها المختلفة , وكذلك الغرباء والعاطلون عن العمل والحمقى والدراويش الذين أطنبت كتب الحسبة في وصفهم وكيفية التعامل معهم (23) .ومجمل القول فأن طبقة العامة في الأندلس كان لها تكلفة في جميع الميادين لا سيما في الميدان الثقافي فقد كان غزيراً عند العامة , فقد أورد ابن بشكوال بيتاً شعرياً من نظم امرأة عامية , لم يجد أحد الفقهاء غضاضة في الاعتراف لها بالفضل , إذا قال : " فحفظ عنها الشعر "(24) أما ابن سعيد فقد أورد حكايات شعبية قائلا : " لولا كثرة ذكر الهامة لها مادا ذكرتها " (25) في حين لم يتردد الظبي بالقول :" رجعت تأخذ اللغة من أهل الزمر " (26)

المحور الثاني - بقاء الكنائس والحريات في إقامة الشعائر الدينية :

منذ بدايات الفتح العربي للأندلس، اتسمت معاملة المسلمين لغيرهم من أهل البلاد المفتوحة بالتسامح التام الذي أشاد به غير المسلمين، وكثير من المؤرخين الأوربيين ، وتدلّنا على ذلك الأفواج التي دخلت الدين الإسلامي تباعاً برضا واختيار ولم يتخذ الفاتحون العرب شعار القتل والارهاب طريقا لهم ؛ لآن وظيفة الجند العرب لم تكن الذبح ؛ بل الارشاد والتوعية والتوجيه والارشاد الى فكر جديد

ودين جديد , ومن الناحية العلمية نعرف أن صاحب الفكر لا يحتاج الى اعمال سيفه , لآنه لا يمكن أن يكون جلادا الا دلك الذى لا حجة لديه ولا فكر , وهكذا أتسمت وأتمرت هذه المعاملة الى أن دخلت افواج منهم الى دين الاسلام وبقى منهم من يقي على دين النصرانية وبقيت الكنائس كل الكنائس تقوم بوظيفتها الاجتماعية دون ان يتدخل العرب في شؤونها او يحدوا من سلطانها وقد حصل تمازج غريب وعجيب واختلاط بين العرب والاسبان عن طريق الزواج , فعاشوا في وئام وسلام لم يعكر صفوهم أي معكر باستثناء بعض الحوادث الصغيرة التي لم يكن بد من وقوعها ولم يكن هنا من طرق الى تلافيها ألا انها سرعان ما تتلاشى وينسى الناس تبعاتها . لقد اورد عديد المؤرخين بأقلامهم تلك الحياة الهادئة التي كان يعيشها النصارى وهم الى جانب اخوانهم من العرب والاسبان المسلمين حيت دخلوا الى كنائسهم وأكلوا معهم وجالسوهم وشاركوهم لهوهم وشرابهم أما وقد أصبحت المحبة ترفل بين اتباع الديانتين والقوميتين المختلفتين فان الصراع العنصري والديني قد اختفت ملامحه تماما من المجتمع الأندلسي وقد تكنت الديمقراطية الاسلامية الأصيلة والروح العربية الحقيقية أن توحد بين الناس دون النظر الى عروقهم او معتقداتهم حتى أن أهل الدمة اليهود والنصارى اجتمعوا مع المسلمين تحت سقف واحد وخندق واحد وقد أتيحت الفرصة لليهود ليظهروا مواهبهم فقد ظهر من اليهود الأندلسيين شاعرة رقيقة اسمها فسمونة بنت أسماعيل وقد ذكرها المقري في نفحه على أنها غرناطية فقد انشد والدها ذات يوم بيتا من الشعر وقال لها – أجيزى فأجازت البيت على البديهة وما كان من أبيها ألا أن احتضنها وقبلها وقال لها – أنت والعشر كلمات أشعر منى وهو يقصد بذلك الوصايا العشر لليهود اما قول أبيها فهو :

لي صاحب ذو بهجة قد قابلت --------- منعا بظهر واستحلت جرمها

وقول فسمونة :

كالشمس منها البدر يقبس نوره ---------- أبدا ويكشف بعد ذلك جرمها

هذه شاعرة يهودية لم يمنع أهلها من أن ينقل المسلمون أخبارها ونوعها وشهرتها , وكان السبب في دلك أن الإسلام كان ولا يزال دين التسامح والسمو والحرية , كما ؛ أنه كان العديد من النصارى من تسلم الوزارة في كثير من الآحيان ولم يكن في ذلك ما يعيب السلطان او يشينه في كونه يتخذ من بطانته عددا من النصارى أو اليهود . والحقيقة أنّ المسلمين الأوّلين كانوا يجرون على تسامح كريم صادر عن إدراك فطري أنّ هذه السياسة المثلى لاجتذاب الناس إلى الإسلام وإقناعهم بعدالة الدولة الإسلامية. نلمس سياسة التسامح لهذه الأقليات في احترام الحكّام المسلمين للنصارى وغيرهم في المعاملات والمجاملات. ومن الواضح أنّ الحكّام لم يحاولوا إرغام الناس على دخول الإسلام؛ لأن هذا كان أسلوب العرب الذي جروا عليه في نشر الإسلام في كل بلد دخلوه؛ فلم يتدخّل الحكّام في شيء من عقائدهم، وتُرك لهم يعيشون عيشتهم. ويتمثل مظهر التسامح في بقاء اليهود

والنصارى على دينهم آمنين مسرورين متمتعين بأقصى ما يمكن أن يحلموا به من الحقوق العامة لو كانوا مقيمين في مجتمع خاضع إلى مثل دينهم. فقد بقي بعضهم على دينه القديم وعاشوا بين المسلمين؛ حيث وجدوا كل ما يأملون من حرية وتسامح يفوق ما نجده في أي مجتمع معاصر اليوم، ولقد تبنّى غير المسلمين ـ نتيجة لهذه السياسة ـ العادات الإسلامية واللغة العربية. ولما هاجر بعض المسيحيين إلى فرنسا ليعيشوا في ظلال حكم مسيحي لم يصيروا أحسن حالاً من إخوانِهم النصارى بالأندلس.(27) كانت معاملة المسلمين لسكان الأندلس الأصليين معاملة كريمة، بأن أبقوا عليهم كنائسهم وأديرتِهم، ثم كفلت لهم الدولة حرية العقيدة، وحرية تأدية الطقوس والشعائر الدينية حسبما تقتضيه القواعد الكهنوتية، وكانوا يسمحون لأساقفتهم أن يَعْقِدوا مؤتمراتِهم الدينية، كمؤتمر إشبيلية النصراني الذي عُقِد في سنة 782م، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عُقِد في سنة 852م؛ فكان لهذا أثر عميق في نفوسهم . لم يكن حال النصارى في ظل المسلمين شديد الوطأة إذا ما قورن بما كانوا عليه من قبل، زد على ذلك أنّ العرب كانوا شديدي التسامح؛ فلم يضيقوا الخناق قط على أحد ما في الناحية الدينية، ولم يجحد النصارى جميلهم هذا، فكانوا راضين عنهم لتسامحهم واعتدالهم، وآثروا حكمهم على حكم القبائل الجرمانية والفرنجة؛ فانعدمت الثورات أو كادت طوال القرن الثامن للميلاد (.28) إن خير ما يمثل ذلك المجتمع السكني الخالي من الحدود بين الأقليات هو بقاء الكنائس داخل أسوار المدينة، بل في مركزها أيضاً، كما تشهد على ذلك كنيسة الملك المجاورة للمسجد الجامع في مدينة طليطلة.(29)

ولقد كان حول قرطبة وحدها في فترة ما من أيام الحكم الإسلامي في الأندلس أكثر من خمسة عشر ديراً؛ وقد انتشرت في قرطبة لوحدها مجموعة من الكنائس والاديرة التي كانت تقدم خدماتها للنصارى الذين عاشوا في كنف ورعاية دولة العرب والاسبان في الأندلس فقد كانت كنائسهم وأديرتهم يديرونها بأنفسهم ويمارسون فيها طقوس ديانتهم دونما تدخل من الحكومة المركزية في قرطبة هدا وتعددت الكنائس وأصبح عددها كبيرا والعديد منه يبدأ بلفظ شنت بمعنى القديس متا كنيسة القديس شنت طرش (30) torrs) وشنت بيطر sant pedro وشنت بول sant boll وشنت منكش sant manch (31) هدا عدا الكنائس الآخرى الواقعة في حى الطرازين والرقاقين وكذلك توجد كنيسة أخرى تعرف بكنيسة شنت اجلح وهى الكنيسة المعظمة عند النصارى ونود أن نشيرالى قضية نسبت للمسلمين وهى حرق المسلمين لهذه الكنيسة وهدا السلوك غير حضاري بالمرة لان هدا ليس بأخلاق فاتحين وانما هدا دس وتشويه وتزوير واساءة لسمعة العرب والمسلمين الفاتحين فكيف يتصرف العرب وقد أبقى المسلمون جميع أماكن العبادة لغيرهم التي كانت قبل مجيئهم ولم يُهدم منها إلاّ ما كان في المناطق التي دخل أهلها كافة في الإسلام، بل سمحوا لهم ببناء كنائس جديدة، وما يريدون من الأديرة، وكانوا يقرعون نواقيسهم وتُعدُّ كنائس النصارى الكثيرة التي بَنَوْها أيام الحكم

العربي من الأدلّة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم (32) لقد تجمعت جاليات المستعربين في الأندلس حول الكنائس، وانضوت تحت إدارة أسقف لغرض مزاولة حياتها الدينية، وكانت في طليطلة إبان الحكم الإسلامي ست أبرشيات، في أقل تقدير، داخل أسوار المدينة، وأخريات مثلها في قرطبة في القرن التاسع الميلادي فكان لنصارى قرطبة أكثر من كنيسة يؤدون فيها شعائر دينهم، كما كان لهم في ظاهرها أديرة من أهمها دير أرملاط على طريق طليطلة، وكانت الأديرة والكنائس مما يروق للشعراء ارتيادها (33) ظل النصارى أحراراً في إقامة شعائرهم الدينية، وبنوا عدّة أديرة جديدة، ولم تكن المناصب المسيحية الدينية سبباً في حرمان بعض المسيحيين من مناصبهم المدنية والاستعاضة عنهم بالمسلمين.

المحور الثالث ـ العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الأندلسي :

تميزت بلاد الأندلس من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي بوجود علاقات اجتماعية متميزة ربطت كل فئات المجتمع الأندلسي مع بعضها البعض بغض النظر عن عرقهم أو معتقدهم الديني ، غير أن الحال تبدل وأصبحت تلك الطبقات مجتمعة ذات مسحة تورث الضغائن والمشاكل ، فكثرت الثورات وأصبح أبناء كبار الآسر العربية يعتبرون أنفسهم طبقة عليا ومميزة ، بحكم أنهم من صفوة القوم لهم رواتبهم الخاصة التي تصرف عليهم من بيت المال ، وكان لهم نقيب يتوسط بينهم وبين الحاكم لذلك كانت مكانتهم دائما مرموقة ، خصوصا في الحفلات الرسمية ويكون ترتيبهم قبل الوزراء وكبار موظفي الدولة ، وكانت غالبا ما تقدم أمراء الطوائف من أبنائها ، اما عن الطبقة الوسطى فإنها تتكون من التجار الكبار والأغنياء المياسير الذين ارتبطت مصالحهم مع مصالح الطبقة الحاكمة ، أما عن الطبقة العامة فهي من العمال والفلاحين والحرفيين وهى التي كانت تتحمل الاضطهاد وصنوف الضرائب , لذلك كانت تثور على السلطة الحاكمة وتتمرد عليها في أغلب الآحيان . وبالرغم من ذلك كله فلقد شاعت علاقات مودة وأخوة بين المجتمع ، لاسيما بين المسيحيين والمسلمين الذين ابقوا على كنائس المسيحيين تقوم بوظائفها الاجتماعية دون أي تدخل منهم.

ولقد صور العلماء ، و الشعراء الأندلسيون الحياة والعلاقات التي كانت تربط العرب المسلمين بالمسيحيين ، فقد دخلوا إلى كنائسهم وأكلوا معهم ، وجالسوهم ، فلقد بات ابن شهيد ذات ليلة في كنيسة بقرطبة حتى الصباح وهو رجل من رجال الخليفة عبد الرحمن الناصر فارتجل شعراً قال فيه :

ولرب حـان قد شممت بديـــره خمرً الصبا مزجت بصرف عصيره
في فتية جعلوا السرور شعارهم متصاغرين تخشعاً لكبيره (34)

ولقد اشتغل النصارى في فلاحة الأرض، وعمران القرى ،يرأسهم أشياخ من دينهم، أولو حنكة ودهاء ومداراة ، ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم (35) بل

ولقد اكتسب منهم من كان يعيش في البادية البقر والحرث و العسل , أما من سكن منهم في الجبال فكانوا يغرسون الأجناث و الفواكه وقطع الخشب وطبخ الفحم ،ومن سكن منهم بجوار البحر فكانوا يجلبون الحوت والسردين ويصنعون السفن إلى غير ذلك (36).

وقد نتج عن هذه العلاقات مجموعة إفرازات تجلت بوضوح في وجود متسامح وصل إلى ذروته إلى درجة أنه إذا تشاجر مسيحي مع مسلم أعطي الحق دائما للأول(37) وقد بلغ هذا التسامح بين المسلمين والمسيحيين إلى درجة فقدان المسيحيين للغتهم اللاتينية ولقد أفضى أحدهم إلى القول : " إن أبناء طائفتي يحبون قراءة الأشعار وتراث العربية ... جميع الشباب المسيحيين الذين لا يعرفون سوى اللغة العربية وآدابها أنهم يقرءون ويدرسون الكتب العربية بنشاط منقطع النظير .. ويشكلون منها مكتبات هائلة ويعلنون عن هذه الآداب في كل مكان أنها مدهشة ... فيا للألم ! لقد نسيي المسيحيون كل شيء حتى لغتهم الدينية إنك لا تكاد لا تعثر بيننا إلا بجهد على واحد بالألف يعرف كما يجب كتابة تحرير إلى صديق باللغة اللاتينية.

أما إذا كان الغرض الكتابة في العربية فانك تجد جمهرة عن الأشخاص يعبرون عن وجهة موافق وبلباقة فائقة في هذه اللغة وسترى أنهم ينظمون شعارا أكثر من الأشعار التي ينظمها العرب نفسهم !!! " (38) .

إن هذه العبارات لكافية على التدليل بوجود علاقات اجتماعية حميمة ربطت المسيحيين بالمسلمين وعلى مدى غزارة وانتشار اللغة العربية في الأوساط المسيحية الأندلسية وإقبالهم على تعلمها ودراسة آدابها بحيث أثار حفيظة القساوسة ورجال الدين المتعصبين حتى قالوا ما قالوه انفا . لقد فات هؤلاء جميعا إلى تحول إطار المعارضة ليصبح طبقيا لا طائفيا .

أما عن العلاقات الاجتماعية بين أهل الذمة واليهود فقلد قامت كتب الحسبة بتحديدها فابن عبدون يقول : إنه يحب ألا يذبح يهودي لمسلم ويأمر اليهود أن يأخذوا أوضاعا لأنفسهم (39) أما عن ابن عبد الرؤوف فقد منع المسلمون أن يتعمدوا شراء اللحم من أهل الذمة وقد حددت العلاقات الاجتماعية بين الفئات المختلفة داخل المجتمع الأندلسي لا سيما الفوارق في المركوب الأمر الذي بدل على مدى الانتماء الطبقي لكل فئة اجتماعية حتى قيل في أمثال العامة " الركوب عز ولو على معز (40) " حتى أضحى لا يعرف فيهم المهنة والمشي إلا أصل الصنائع والأرذال وقد ميز اليهود بالملبس فقد كانت ثياب الصوف الملونة بالأصفر مخصوصة لهم ولا سبيل ليهودي إلا أن يعتم (41) " وتشددت مؤسسة الحسبة مع المسلمين الذين يقومون بخدمة أهل الذمة لا سيما أولئك الذين يشتغلون لحساب اليهود في مهن فيها خساسة أو إذلال للمسلمين كطرح الكناسة ونقل الآلات والخمر ورعاية الخنزير وشبه ذلك لما فيه من علو الكفر على الإسلام ويؤدب من فعل ذلك , وكانت تعاليم المحتسب تتدخل في بعض الأحيان وتعمل على مس واقع الأحوال

الشخصية للنصارى , فها هو ابن عبدون يأمر القساوسة على الختان , فإنه ممن تبعوا بزعمه لسنة عيسى عليه السلام , وعيسى قد أختتن وله في يوم اختتانه عيد يعظمونه (42) . ويتضح لنا من خلال هذه النصوص التي تضمنتها كتب الحسبة كيفية تعايش العرب المسلمين والنصارى وأهل الذمة في قرطبة في زمن ملوك الطوائف .

المحور الرابع ـ تقاضي النصارى بقانونِهم وتنظيمهم أنفسهم :

لما أزال العرب أمر القوط ، أقاموا على أهل الذمة والنصارى رئيساً منهم، ولقبوه بقومس الأندلس أو زعيم نصارى الذمة ؛ فصار القمامسة من أهل البلاد، فكأنّ الفتح الإسلامي ردّ إليهم اعتبارهم من هذه الناحية. وكان يدير أمور الجماعات المسيحية الكبيرة في المدن والأرياف رجال من نصارى عجم الأندلس يسمون بالقمامسة، وواحدهم قومس comes ، وهو لقب كبير كان مقصورا، على كبيرهم فقط. هذا وقد جعله العرب مسؤولاً أمامهم عن كل ما يتصل برعاياهم من النصارى، وأحاطوه بما يليق به من الاحترام. وكان أول القمامسة هو أرطباس. حقيقة أنّ هذا اللقب لم يظهر في النصوص إلا أيام عبد الرحمن الداخل، ولكن صورة الخبر الذي يتضمن هذا اللقب عند ابن القوطية تدل على أنّ الوظيفة كانت قديمة والجديد هو اللقب، وستستمرّ الوظيفة بهذا اللقب بعد ذلك(43) تُركت للنصارى الحرية الواسعة في قضائهم الخاص؛ فكان لهم قاض يعرف بقاضي النصارى أو العجم. فقد ترك الحكّام نصارى الأندلس أحراراً ينظمون أمورهم على النحو الذي أرادوه، ما داموا على الطاعة يؤدّون ما عليهم من الأموال، فظلّوا يفصلون في أقضيتهم وفقاً للقانون القوطي القديم، وهو نظام مدني وإداري أيضاً؛ أي أنّ القائمين بأمره كانوا مسؤولين عن كل ما يتّصل بأمور رعاياهم فيما بين أنفسهم، كانوا يجمعون ضرائبهم، ويؤدونها إلى بيت المال نيابة عنهم، وظلّت علاقاتهم بكنائسهم وقساوستهم على ما كانت عليه قبل الفتح؛ فكانوا يشرفون على كنائسهم ويتولّون أمور قساوستها؛ أي أنّه وجد من أول الأمر نظامان إداريان جنباً إلى جنب: واحد للمسلمين وواحد للنصارى. أما في القضايا التي تقع بين المسلمين وغير المسلمين، فكان ينظر فيها قضاة المسلمين، ويحكمون فيها بشريعة الإسلام (44) حقيقة مهمة تمكننا من تحليل ديمومة أقليات المستعربين في الأندلس، ودرجة التعايش المختلط فيها هي الصفة السياسية التي منحها الحكام المسلمون إلى المستعربين، والتي استطاع هؤلاء بفضلها الاحتفاظ بقوانينهم القوطية الغربية (El Fuero Juzgo) في المجال المدني، وبشرائع وطقوس الكنيسة الإسبانية القديمة في المجال المدني، كما تمتعت جالياتهم بحكم ذاتي كامل دون أن يتصادم ذلك مع القضاء الإسلامي. فقد أمّن الحكّام المسلمون ـ من بقي على دينه من مسيحيين أو يهود ـ على أرواحهم وأملاكهم، ومنحوهم حرية العقيدة وإقامة الشعائر الدينية، كما تُركت للنصارى الحرية الواسعة في قضائهم الخاص، وتنظيم أنفسهم ، وكانوا

يعانون العسف والظلم الاجتماعي ، ويصادرون في حرياتِهم ، ومعتقداتِهم ، وأموالهم...

شعر الإسبان بالفرق بين حكم العرب وحكم القوط، ورأوا من تسامح العرب وتفانيهم في نشر العدل بين الناس ما يثلج الفؤاد؛ فأحب الإسبان العرب محبة خالصة، ورأوا البون الشاسع بين الحضارة التي يحملها المسلمون، وما كان للقوط من الثقافة المتأخرة، وكانت أقرب إلى الهمجيّة. ولم يمض قرن حتى أخضعت القرى وكثرت المزارع، واتصل العمران، وتزاحم الناس على سكنى المدن، وأمست قرطبة عاصمة الخلافة الأندلسية كعواصم أوروبا اليوم، وأصبحت عاصمة علم وصناعة وفن وتجارة , ونتيجة لهذه السياسة الحكيمة ساد الاستقرار ربوع هذه البلاد، وانتشر العدل، وبدأ الأهالي من العرب وغير العرب يستغلون خصوبة الأرض في الزراعة وقربها من شمال إفريقيا في التجارة. وإنّ قسماً كبيراً من الأهالي دخل الإسلام، واندرج في عداد أسر المولّدين الكبيرة في بلاد الأندلس, ونتيجة لهذا التسامح المثالي والأبعاد كافة، اتخذ هؤلاء المسيحيون أو أكثرهم (وكذلك اليهود) العربية لغة لهم، وأتقنوها وجعلوا يكتبون بها أفضل مما يفعلون مع لغتهم اللاتينية، ودرسوا العلوم الإسلامية. كما أنّهم اتخذوا العادات الإسلامية، ومارسوا أفكار المسلمين وتقاليدهم في ملابسهم ومطاعمهم ومشاربهم، وتسمّى كثير منهم بأسماء عربية، وأصبح يطلق عليهم اسم ((المُسْتَعْربين))، ونبغ منهم أدباء وعلماء، ومنهم من وصل إلى أعلى مناصب الدولة. كانت الأندلس عطاء صادقاً لقرون من التعايش والتسامح، مما جعلها نموذجاً لحوار الحضارات وتعايشها. ولقد رأينا من خلال هذه الدراسة دور وحضارة العرب في الأندلس .رأينا روح التسامح الذي كان سائداً من قبل المسلمين الفاتحين للأقليات النصرانية، والذين سمّوا بالمستعربين، منذ بدايات الفتح الإسلامي للأندلس، وأثر الثقافة العربية الإسلامية في الأقليات النصرانية. إذا كان الاستعراب يمثّل تأثير الثقافة العربية في غير المسلمين من الإسبان، فإنّ استمرار وجود هذه الأقلية المسيحية وسط المجتمع الإسلامي يدلّ على الطابع التعدّدي لهذا المجتمع دينياً واجتماعياً. وإنّ هذه التعددية دليل على تسامح الإسلام وقدرته على تمثل الديانات المختلفة، وإعادة إفرازها في مشروع حضاري هو الثقافة الأندلسية الإسلامية. وبقى أن نتساءل من هو المتوحش نحن العرب المسلمين أم هم الأوربيين ؟ ولا نريد أن نقمح أنفسنا ولكننا نضعكم أمام نصوص اوربية مختصرة فالنص الأول للفيلسوف نتشه حيت يقول ما نصه (لقد حرمتنا النصرانية ميرات العبقرية القديمة ثم حرمتنا بعد دلك الإسلام لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة مدنية الأندلس العربية ولمادا ؟ لأنها نشأت من أصول رفيعة ومن غرائز شريفة نعم من غرائز رجال إن تلك المدنية الاسلامية لم تنكر الحياة بل أجابتها بالإيجاب وفتحت لها صدرها(45) وقبل الانتقال إلى النص الثاني تجدر الإشارة إلى أن الكردينال – كمينس – سلك في غرناطة عام 1499 م مسلكين المسلك الآول عن طريق الإغراء لدفع المسلمين

إلى اعتناق المسيحية ولما أبى الناس ذلك جمع كل ما في المدينة من كتب عربية ومصاحف مزخرفة وغير مزخرفة تم نظمت في أكداس وأحرقت في ساحة المدينة ويقول المؤرخون انه أحرق ما يقرب من مليون مخطوط أما كوندى فإنه يقول أن ما يقرب من ثمانين الف مخطوط قد أحرقت ولم ينج من الحرق إلا ما يقرب من تلائمائة كتاب في الطب ---- (46) أما النص الثاني فهو ل – لاجيرود سنيم – يقول فيه ما يلى : أما العرب فقد تركوا في البلاد التي احتلوها أثرا لا يزالون يذكرون به للان لأنهم لم يقتصروا على إدارة البلاد بل قاموا بعمارتها على أساس من الحضارة والمدنية – ويقول ستانلي يول في نص اخر : ولكن الإسبان لم يدركوا أنهم قتلوا الإوزة التي تبيض بيضة من ذهب كل يوم فقد بقيت إسبانيا قرونا في حكم العرب وهى في المركز الأول من حيث المدنية ومنبع العلم والفنون ومثابه العلماء والطلاب ومصباح الهداية والنور ولم تصل أي مملكة في أوربا إلى ما يقرب منها في تفافتها وحضارتها ولم يبلغ عصر فرديناند وإيزابيلا القصير المتلألئ ولا إمبراطورية شارل الخامس الأوج الدى بلغه المسلمون في الأندلس وقد بقيت حضارة العرب الى حين بعد خروجهم من إسبانيا وضاءة لامعة(47) .

أما النص الرابع فقد ورده – ريفوا بالمنستير – بقلم السيد –هنري دي شامبوت – حيث قال : (لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجي على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى ولما أصيبت بفظائعها ولما كابدت المذابح الأهلية الناشئة عن التعصب الدينى والمذهبي ولولا ذلك الانتصار البربري على العرب لنجت فرنسا من وصمة محاكم التفتيش ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية تمانيه قرون --- ويستطرد قائلا إننا مدينون للعرب بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة مع أننا نزعم أنها مثال الكمال البشري مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الهمجية وأنه لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى(48) .

نتائج الدراسة :

1- دخل العرب إلى إسبانيا فاتحين لا محتلين لها هدفهم تحرير الشعوب الإسبانية من نير الظلم والعسف والجور الدى عانوه من حكامهم منذ القدم .

2- - اتسمت معاملة العرب للإسبان بالتسامح التام خصوصا في معتقداتهم الدينية وتركوهم يعيشون كما يريدون فلم تكن سياسة القتل والإرهاب شعار الفاتحين بل كان شعارهم الإرشاد والتوعية والتوجيه فأثمرت هده السياسة فدخل عديد الإسبان دين الإسلام

3- فتحت هده السياسة على إسبانيا وسكانها عهدا جديدا بين كل فئاتها الاجتماعية فازداد الإقبال على العمل وازدهرت الحركة التجارية والزراعية والاقتصادية

4- كان من أسباب ازدهار العلاقات الداخلية بين كل فئات المجتمع الأندلسي ان اصبحت الاندلس مركزا تجاريا مرموقا في اوروبا نتيجة لازدهارها فتوافد عليها الجميع .

5- كان من تأثر الشعوب الاسبانية بحضارة العرب الفاتحين أن اتخذوا اللغة العربية لغة لهم في تخاطبهم ومعاملاتهم اليومية المختلفة فأتقنوها ونافسوا حتى أصحاب هذه اللغة في استخدامها.

6- وبالرغم من ذلك كله كان جزاء العرب من الإسبان أن تم إجبارهم على أعتاق المسيحية بل وحرق كتبهم ومخطوطاتهم التاريخية الهامة وهدم ما بنته الإنسانية فيها .

الهوامش :

1- المقري ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق ، إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، 1956 . ج1 , ص196.
2- أرسلان ، شكيب الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، مكتبة دار الحياة بيروت ، د . ت . ح1 , ص233
3- ابن بشكواك ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت _ 578 هـ / 1183 م) ، الصلة ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، جزءان ، 1945. ص اماكن متعددة.
4- ابن عداري المراكشي , البيان المغرب في تاريخ وحلى المغرب , تحقيق ج , س, ليفي بروفنسال , دار التفافة بيروت , 1976, ج2 , ص250
5- أرسلان ، شكيب الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، مكتبة دار الحياة بيروت ، د . ت .
6- ابن عداري , المصدر نفسه , ج2 , ص251
7- ابن بشكوال , مصدر سابق . ج2 , ص138
8- المقري , مصدر سابق , ج1 , ص 458
9- السقطي محمد بن أحمد عبد الله السقطي الأندلسي, في ادأب الحسبة , تحقيق ليفي بروفنسال , باريس 1930, ص 52
10- المقري , مصدر سابق ,ج1 , ص 220
11- أحمد مختار العبادي, مجلة الفكر , ج1 , عدد1 , ص 133
12- الفريد البستاني ، رحلة الوزير في افتكاك الأسير ، منشورات الجنرال فرانكو ، طنجة 1940 م . ص 45
13- السقطي , مرجع سابق , ص 53
14- المقري , مصدر سابق ج1 , ص 222
15- خير الدين الزركلي , رسائل إخوان الصفا , المقدمة العربية , مصر , 1928 , ص 221
16- كلود ، كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ترجمة بدر الدين قاسم ، دار الحقيقة ، بيروت ، 1977 . ص 146
17- ثلاث رسائل في الحسبة , تحقيق ليفي بروفنسال , باريس 1912,أماكن متعددة
18- ابن بشكوال , مصدر سابق , ج2 , ص 269
19- البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز ،(ت _ 487 هـ / 1094 م) ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د__ ت . ج1 , ص225
20- - الظبى , أحمد بن يحيى بن عميرة , بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس , دار الكتاب العربي و القاهرة , 1967 , ص 610
21- المقري , نفح الطيب , مصدر سابق , ج1 , ص 526
22- اين عبدون , رسالة في الحسبة , مصدر سابق , ص53
23- ليفي بروفنسال ، ثلاث رسائل في الحسبة ، المعهد العالي للآثار الشرقية ، باريس ، 0193 م .ليفي بروفنسال , حضارة العرب في الاندلس و , ص 80
24- المرجع نفسه , ص82
25- اين عبدون , رسالة في الحسبة , مرجع سابق ,ص 53
26- ابن عبد الرؤوف , رسابة في الحسبة , ص 43
27- الزجالى , ري الاوام ومرعى السوام في امثال الخاصة والعوام ,,تحقيق بن شريفة الجيلاني , قابس 1978 ,ص 352

28- ابن عبد الرؤوف ,رسالة في الحسبة , مرجع سابق , 186
29- المقري , نفح الطيب , مرجع سابق , ج1 , ص 82
30- الجرسيفى , رسالة في الحسبة , مرجع سابق , ص 49.
31-[28] الحجي، عبد الرحمن علي. (1389ه/ 1969م). أندلسيات (ط.1، ج. 2، ص. 24). بيروت: دار الإرشاد ـهاشم، زكريا. (1970م). فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم (ص. 315). القاهرة: دار نَهضة مصر للنشر.
32- هاشم (مرجع سابق). فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم (ص. 397- 398) ـ لوبون، غوستاف. (1384ه/ 1964م). حضارة العرب (ط. 4، ص 276-277). ترجمة عادل زُعَيْر. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
33- دوزي، رينهارت. (1998م). المسلمون في الأندلس 1ج، »المسيحيون والمولدون« (ج. 1، ص 48). ترجمة وتعليق د. حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
34- غوميز، مارغريتا لوبيز. (1999م). المستعربون: نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس، في سلمى الخضراء الجيوسي (محرر)، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس (ط. 2، ج. 1، ص 269). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
35 - الحجي مرجع سابق . أندلسيات (ج. 2، ص. 24-25- 26).
36 - لوبون مرجع سابق. حضارة العرب (ص. 277).
37 - غوميز (مرجع سابق). المستعربون: نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس، في سلمى الخضراء الجيوسي (محرر)، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس (ج. 1، ص 270).
38- عبد البديع، لطفي. (1958م). الإسلام في إسبانيا (ط. 1، ص 27). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
39- مؤنس، حسين. (1959م). فجر الأندلس (ص.447- 459-460).القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر.
40- غوميز (مرجع سابق). المستعربون: نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس، في سلمى الخضراء الجيوسي (محرر)، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس (ج. 1، ص 270).
41 - محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ج1، ص256.
42 - ابن بشكوال ، أبي القاسم خلف بن عبد الملك (ت _ 578 هـ / 1183 م) ، الصلة ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، جزءان ، 1945.
43 -ابن عذارى ، أحمد بن محمد ، (ت _ أوائل القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) ، البيان المغرب في تاريخ وحلي المغرب ، تحقيق ، ج ، س ، كولان ، أ ، ليفي بروفنسال دار الثقافة ، بيروت ، 1967 .
44 - الظبي ،أحمد بن يحي:- (ت -599هـ/1203م)، بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس , دار الكتاب العربي ،القاهرة ،1967 , ص 231.
45 -المقري ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق ، أحسان عباس ، دار صادر بيروت ، 1956 . ج1 , ص196
46 - هنري ,دي شامبوت , العرب في الاندلس , مجلة ريفيرا بارلمنتير ,باريس, د.ث,ص 53.